الفصل الثاني

الحروب الصليبية (٤٩٠-٦٩٠هـ/ ١٠٩٥-١٢٩١م)

الحروب الصليبية كما جاء في الموسوعة العربية الميسرة هي سلسلة حروب شنها المسيحيون (النصارى) الأوروبيون بين القرن ١١-١٤ لاستعادة الأراضي المقدسة وبخاصة القدس من المسلمين، وكان السلاجقة قد ظهروا على مسرح الأحداث في الشرق الأدنى في أوائل الثالث الثاني من القرن الحادي عشر، وأخذوا يتوسعون على حساب الدولتين الفاطمية والبيزنطية وفي عام ١٠٧١م هزم السلاجقة البيزنطيين في معركة ملاذكرد وأسروا الأمبراطوار رومانس ديو جنيس، فوجه البيزنطيون نداءات عديدة للغرب كان آخرها الذي وجهه الأمبراطور الكسيوس يطلب فيه المساعدة للوقوف على وجه التوسع الإسلامي.

وقد كان دافع الحروب الصليبية المباشر هو الموعظة التي ألقاها البابا أيربان الثاني في مجمع كليرمونت وحث فيها العالم المسيحي على الحرب لتخليص القبر المقدس من المسلمين ووعد المحاربين بأن تكون رحلتهم إلى الشرق المقدس بمثابة غفران لذنوبهم كما وعدهم بهدنة عامة تحمي بيوتهم خلال غيبتهم. وقد أخذ الصليبيون اسمهم من الصلبان التي وزعت عليهم خلال الاجتماع. وعلى الرغم من أن الحافز الديني للحروب الصليبية كان قوياً، فقد كانت هناك حوافز أخرى دنيوية. فقد استهدف النبلاء المغانم وتأسيس الأمارات. وكانت للنورمان أهداف توسعية على حساب البيزنطيين والمسلمين على السواء، وكانت المدن الإيطالية تهدف

إلى توسيع نطاق تجارتها مع الشرق واجتذب هؤلاء كلهم حب المغامرة والأسفار[١].

في عام ١٠٩٥م - ٤٨٩هـ كان البابا إيربان الثاني هو الزعيم المطاع في الغرب النصراني. وكان إيربان الثاني هو الذي أعد للحروب الصليبية والتقى بالنصارى في مؤتمر كلير مونت هذا المؤتمر ضم الأساقفة وخطب فيهم إيربان الثاني قائلاً: (أيها المسيحيون إن تلك الأرض المقدسة بحضور شخص المخلص فيها، وتلك المغارة المرعية المختصة بفادينا وذلك الجبل الذي عليه تألم ومات من أجلنا، وذلك الضريح الذي تنازل لأن يدفن فيه ضحية للموت، كلها أضحت ميراثاً لشعب غريب، وغاب بهاؤها الأصلي، وهياكلها خربت، وأشعة نورها الساطعة تحولت إلى ظلام حالك، وهي تستحق الندب الشديد والبكاء).

ولم يعد لله من معبد داخل المدينة المقدسة الخصوصية، وجهاته الأكثر ثروة وغناء أضحت في فقر مهين. ويواصل مخاطبته فيقول: لقد آن الزمان الذي فيه تحولون ضد الإسلام تلك الأسلحة التي اتخذها فريق منكم حتى الآن ضد فريق آخر لأخذ الثأر عن بعض إهانات فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي لأخذ الثأر من إهانات ضد البشر بل عن الإهانات الصادرة ضد الله. وليست هي لاكتساب مدينة واحدة فقط، بل هي أقاليم آسيا بجملتها مع غناها وخزانتها التي لا تحصى. فاتخذوا محجة القبر المقدس وخلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، وأنتم أملكوها لذواتكم، فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبناً وعسلاً. ثم في نهاية خطبته أخرج علامة الفداء المقدسة وهي (صليب الخلاص) عندهم وقال: (احملوه على عواتقكم أو على صدوركم، ويشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم)[٢].

لقد كان إعلان الحرب الصليبية عام ١٠٩٥م - ٤٩١هـ بمثابة إيذان بقيام علاقات من نوع خاص بين الشرق والغرب وشملت كل نواحي الحياة ولما كانت

---

(١) محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول، بدون طبعة والقاهرة: دار الشعب، بدون تاريخ) ص٧٠٩.

(٢) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٢٦-٢٧.

الجيوش هي واجهة الأمم بحضاراتها وثقافاتها ومبادئها وقيمها، فإن الحروب الصليبية كانت الميدان الذي تقابلت فيه الثقافتان المتحاربتان الإسلامية والأوروبية الصليبية وكان لابد أن يكون النصر لأصحاب الحضارة والثقافة المتقدمة وهي بالطبع الثقافة الإسلامية، لقد وفد الغرب غازياً للشرق الإسلامي بجماعات مختلفة المشارب والأهواء تمثلت في الحرب الصليبية الأولى، فقد جاء السواد الأعظم منها ليتخلص من ربقة العبودية والبعض الثاني ضم النبلاء والأمراء الذين أرادوا تكوين إمارات خاصة بهم في بلاد الشام والبعض الثالث وفد على رأس الحملات التي تلت هذه الحملة وهم قلة قليلة من الملوك الذين نشدوا المجد الشخصي تحت لواء الصليب ولا يمكن أن يخطر على بال أحد أن الغرب الصليبي والحال هذه قد جاء طلباً للعلم وإنما جاء ليؤسس دويلات وإمارات صليبية في الشرق الإسلامي لذلك لا نستطيع أن نقول أن هناك تأثيرات انتقلت من أوربا أو الغرب إلى المجتمع الإسلامي في بلاد الشام إلا بعد استيلاء الصليبية على بيت المقدس وتكوين الإمارات الصليبية. على أن الحروب الصليبية لم تكن أول اتصال بين العالم الإسلامي وبين الغرب النصراني ذلك أن بوادر ظهرت في أوربا في نهاية القرن الثامن تنبئ عن وجود اتصال وثيق سبق أن وجد طريقه بين الطرفين الإسلامي والمسيحي فقد تأثر الأدب الغربي بالأدب الشعبي الإسلامي عن طريق أسبانيا أما المعبر الثاني للتأثيرات العربية كان صقلية التي خضعت للحكم الإسلامي من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الحادي عشر الميلادي، وكان من أهم حكامها المسلمين خلفاء الدولة الفاطمية. لذلك فقد ظلت صقلية في القرنين العاشر والحادي عشر جزءا لا يتجزأ من الدولة الفاطمية في مصر ومنها انتشرت اللغة العربية إلى إيطاليا ثم باقي أوربا.

وقد اتسمت الفترة التي سبقت الحروب الصليبية بوجود اتصالات فردية محدودة ذات طابع رسمي تمثل في تبادل الهدايا والكتب بين الحكام في الشرق والملوك في الغرب وذلك عن طريق السفراء، هذا فضلاً عن الزيارات الدينية التي كان يقوم بها حجاج الغرب الأوروبي إلى بيت المقدس. إلا أن هذه الزيارات لم تكن سوى زيارات فردية، ولم يكن ليسمح لهؤلاء الزائرين القلائل بالتجول في

البلدان الإسلامية إلا في حدود معينة. أما العلاقات بين مصر والشام والغرب الأوروبي قبيل الحروب الصليبية فقد كانت جد محدودة ثم ما لبثت أن جاءت الحملة الصليبية الأولى في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي واستطاعت أن تثبت أقدامها في بلاد الشام. وكان لابد لهؤلاء الصليبيين - في بلاد غربة معادية - أن يكونوا على اتصال بالوطن الأم أي أوربا. فبدأ الاتصال عن طريق موانئ الشام مكونين بها رأس جسر يربطهم بالغرب الأوروبي كما أن هؤلاء المحاربين الذين عادوا إلى أوطانهم في أوربا اعتقاداً منهم أن المهمة التي قاتلوا من أجلها قد انتهت باستيلائهم على بيت المقدس قد حملوا معهم مشاهد رأوها في بلاد الشام قصوا منها على أقرانهم(١).

وقد كانت الدول التي شاركت في هذه الحروب الصليبية والغزو الصليبية الأوروبي للعالم الإسلامي دول عديدة. وكان لكل دولة مصلحة في هذا الغزو ولكن المصلحة المشتركة بين الدول الأوروبية كانت واضحة في مجال الغزو الصليبي. وهي مسألة معروفة عداء الإسلام والحقد عليه.

ظل البابا إيربان الثاني ينتقل بين المدن الأوروبية داعياً إلى الحروب الصليبية وطلب من الأساقفة أن يبشروا بهذه الحروب وكان أشهرهم الراهب الطواف الذي عرف ببطرس الزاهد. وقد كان لبطرس هذا دوراً كبيراً في الدعاية لهذه الحروب. ولقيت دعوته استجابة واسعة لأسباب منها بيانه، بالإضافة لأسباب في أوربا ساعدت على ذلك ولاسيما ما كان يردده بطرس أن يستولوا على البلاد التي تفيض عسلاً ولبناً بلاد الشرق الإسلامي، وقد كانت الجموع الأولى المتجهة إلى الشرق الإسلامي كبيرة وفي حالة فوضى واضطراب وكانت هذه الجموع أبعد ما تكون عن التنظيم العسكري أو السياسي. كانت محطة هذه الجموع القسطنطينية وهي جيوش قصد منها أن تقف أمام تهديد السلاجقة المسلمين لأوربا وخوفاً من الزحف الإسلامي. نستطيع أن نسمي جموع بطرس الزاهد وجموع

(١) أحمد رمضان أحمد محمد، المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، بدون طبعة (مصر: وزارة التربية، ١٩٧٧م) ص٣١٠ ٣١١.

والتر المفلس حملة العامة أو الدهماء أو حملة الشعوب[١].

هذه الحروب كانت لرغبة الكنيسة مما جعل المؤرخون يقولون أن الدافع الديني من وراء هذه الحروب. غير أن الدافع الديني ليس هو الوحيد ولكن اشتركت معه دوافع أخرى مثل الدافع السياسي والاجتماعي والاقتصادي.

١- الدوافع الدينية:

يمكننا أن نخلص الهدف الديني من وجهة نظر الأوروبيين في أمور أهمها:

أ - ادعاؤهم أن المسيحيين المقيمين في العالم الإسلامي يلقون من سوء المعاملة من الحكام المسلمين ما يستوجب على المسيحيين الأوروبيين نجدتهم.

ب- ادعاؤهم أن الحجاج المسيحيين يتعرضون للعدوان في طريقهم إلى الحج وإلى مزيد من الاضطهاد وهم يؤدون حجهم.

ج- ادعاؤهم أن الكنائس المسيحية تعرضت للتخريب والإغلاق وأن بعض الكنائس حولت إلى مساجد. كل هذه الادعاءات باطلة لا يسندها الواقع آنذاك وأن النصوص من القرآن والسنة عالجت علاقة المسلمين بغيرهم في الدولة الإسلامية وهي معاملة تعد من أرقى المعاملات التي عرفها التاريخ العالمي وتاريخ الأديان بل هي أرقى المعاملة على الإطلاق تدعم تلك المعاملة النصوص من الكتاب والسنة وكذلك الواقع التاريخي آنذاك[٢].

في معاملة أهل الكتاب من يهود ونصارى في بلاد المسلمين وردت أحاديث كثيرة يمكننا أن نورد هنا بعضاً منها:

روى أبو داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم أن رسول الله ﷺ قال: من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته وأخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة[٣].

---

(١) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٣١.

(٢) علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٣٢-٣٣.

(٣) أبو داود في سننه باب الإمارة الحديث رقم ٣٣.

وروى الإمام البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاماً)[١].

والتاريخ يحدثنا عن فتح الأندلس بواسطة المسلمين عام ٩٣هـ -٧١١م وكيف أدخل المسلمون الإسلام إلى معظم أسبانيا وأنهم لم يلغوا المسيحية ولم يمنعوا مسيحياً من إقامة شعائر دينه. بالمقارنة مع ما قام به كل من (فرديناند وإيزبيلا) عندما تم لهما الاستيلاء على الأندلس من المسلمين سنة ٩٠٩هـ - ١٠٥٢م وكيف أنهما أصدرا مرسوماً بإلغاء شعائر الدين الإسلامي في كل البلاد. يعترف بهذا كتاب الغرب لتقرأ شهادة توماس. وإرنولد حيث يقول في تسامح المسلمين مع المسيحيين في أسبانيا (أما عن حمل الناس على الدخول في الإسلام أو اضطهادهم بأية وسيلة من وسائل الاضطهاد في الأيام الأولى التي أعقبت الفتح العربي فإننا لا نسمع عن ذلك شيئاً)[٢].

على أنه في الأحوال التي كان يعتدي فيها المسيحيون على الدين الإسلامي كانوا يحاكمون أمام قضاتهم وفقاً للقوانين المعمول بها في بلادهم. ولم يتعرض لهم المسلمون في إقامة شعائرهم الدينية[٣]، وقد تكون هناك بعض الحالات الفردية التي لا يصح أن تعمم وتظل حالة نادرة أو قليلة لا يصح الحكم بأن الإسلام قد اضطهد النصارى وإذا تركنا شهادة النصوص من القرآن والسنة وهي عندنا معتمدة أكثر من غيرها فإن شهادة التاريخ تدل على عكس ما ادعاه النصارى من أن الإسلام قد اضطهد نصارى الشرق أو أساء معاملة الحجاج إلى بيت المقدس من النصارى وقد ادعوا أن الحجاج من النصارى كانوا يتعرضون للاضطهاد والعدوان وهم في طريقهم إلى بت المقدس قبيل الحروب الصليبية فهي دعوة باطلة.

يقول أحد كبار المؤرخين الأوروبيين أن حالات الاضطهاد الفردية التي تعرض

---

(١) الإمام البخاري: صحيحه: ٤/ ١٢٠ طبعة دار الشعب القاهرة.

(٢) توماس. و. آرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرين ص١٥٧.

(٣) المرجع نفسه ص١٥٨.

لها المسيحيون في البلدان الإسلامية في الشرق الأدنى في القرن العاشر الميلادي بالذات لا يصح أن تتخذ بأي حال سبباً حقيقياً للحركة الصليبية لأن المسيحيين بوجه عام تمتعوا بقسط وافر من الحرية الدينية في ظل الحكم الإسلامي فلم يسمح لهم فقط بالاحتفاظ بكنائسهم القديمة، وإنما سمح لهم أيضاً بتشييد كنائس وأديرة جديدة وجمعوا في مكتباتها كتباً دينية متنوعة في اللاهوت[١].

إن ادعائهم تخريب الكنائس وهدم الأديرة أو مصادرتها لم يقم عليه من دليل. وإنما هي شائعات ربما أدى إليها تصرف بعينه في قرية بعينها، لا يمكن أن يعتبر هو الأصل في معاملة المسلمين للمسيحيين وكنائسهم في البلاد الإسلامية.

إن الأحقاد القديمة والحديثة هي التي أذكت نيران الغزو الصليبي في أخريات القرن الخامس الهجري، وهي التي تعطي هذا الغزو القدرة على المضي في التاريخ حتى يومنا هذا[٢].

ومعروف أن هذه الحروب لا تزال مستمرة ولها الآن مظاهر واضحة حتى أن الزعماء الذين يقودونها يعلنون إنها حرب صليبية.

٢- الدوافع السياسية:

الحروب الصليبية لم تبدأ بغزو قوات الصليبيين الشرق الإسلامي في نهاية المائة الأولى من القرن الحادي عشر الميلادي نهاية القرن الخامس الهجري.

الحروب الصليبية بدأت في الأندلس المسلمة بأكثر من قرنين من الزمان. وقد بدأت مناوشات هذا الغزو منذ أن شعرت الدولة الرومانية الشرقية بيزنطة بضعف الخلافة العباسية واستيلاء بعض الأمراء على كثير من ولاياتها وأطرافها. فنحن الآن أمام موضوعات ثلاثة ونحن نتحدث عن الدوافع السياسية للغزو الصليبي للعالم الإسلامي.

---

(١) سعيد عاشور، الحركة الصليبية الجزء الأول ص٣٠.

(٢) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي مرجع سابق ص٣٨.

والمواضيع الثلاثة هذه تندرج ضمن الأهداف والدوافع السياسية وهي:

١- الغزو الصليبي الذي قام به بعض أمراء الأسبان يؤيدهم عدد من أمراء أوربا - فرنسا بالذات - للأندلس المسلمة.

٢- الغزو الصليبي لأطراف الدولة العباسية وللولايات الفاطمية في الشام الذي قامت به الدولة البيزنطية.

٣- الغزو الصليبي للشرق الإسلامي الشام ومصر وآسيا الصغرى - الذي قامت به أوربا تدعمها الكنيسة وتؤيدها وتقودها وتهدد بالحرمان.

نلقي بعض الضوء على المحاور الثلاثة التي تمثل الأهداف السياسية للحروب الصليبية وهذه الأهداف قديمة كما هو واضح بدأت هكذا:

أ- الغزو الصليبي للأندلس المسلمة:

ادخل المسلمون الإسلام إلى أسبانيا منذ سنة ٩٢هـ - ٧١١م وظل الإسلام هناك حتى ٨٩٨هـ - ١٤٩٢م كان عطاء الإسلام واضحاً في مجال العلم والمعرفة والسياسة والحكم والعدالة والحرية كل ما يتطلبه الإنسان. استمر هذا الحال زهاء ثمانية قرون. ثم اضطربت الأحوال في عهد ملوك الطوائف ولكن هدأت في عهد ملوك الموحدين والمرابطين. غير أن عهد الموحدين كان فيه ضعف فضاعت كثير من المدن والقرى. ثم كان عهد بني الأحمر أكثر ضعفاً. ذلك العهد الذي انتهى فيه الوجود الإسلامي يوم أصدر (فرديناند وإيزابيلا) مرسوماً يقضي بإلغاء شعائر الدين الإسلامي في كل البلاد كان ذلك عام ٩٠٨هـ - ١٥٠٢م الأمر الذي لم يفعله المسلمون يوم أن دخلوا الأندلس فاتحين فقد كانوا حملة حضارة.

لقد كان الدافع السياسي لغزو الأندلس ومن قبله الكنيسة أنها لم ترض عن إقامة دولة للمسلمين في الأندلس ولذلك طيلة وجود المسلمين في الأندلس تدفع الكنيسة الأمراء الأوروبيين لإثارة الحروب مع المسلمين. أول غزو أوربي لأسبانيا قام به شارل الأول ولكن هزمه المسلمون.

والغزو الثاني كان في عهد البابا الأسكندر الثاني ولكن قتل قائده على يد أحد المسلمين. واستمرت الدوافع السياسية والحرب بين أسبانيا ودول الغرب

سجالاً وأصبح الصراع بين المسلمين والصليبيين في الأندلس صراعاً عاماً شاملاً تناول كل بقاع الأندلس التي يقيم فيها المسلمون وأخيراً سقطت الأندلس في يد فرديناند وإيزابيلا سنة ١٤٩٢م - ٨٩٨هـ.

هذه واحدة من الدوافع السياسية للحروب الصليبية لمسنا أثرها على الأندلس. وهو دافع سياسي ولكن لا نجرده من الدوافع الدينية.

ب- الغزو الذي قام به البيزنطيون:

الدولة البيزنطية أقرب دولة لبلاد المسلمين. منذ سنة ١٢هـ -٦٣٣م في عهد عمر بن الخطاب ﷺ أصبحت الشام بلاداً إسلامية. وزال عنها الوجود الروماني البيزنطي. وتقدم الأمويون حتى وصلت فتوحاتهم بحر إيجه وهاجموا القسطنطينية عام ٤٩هـ. وكانت الحروب سجال بين المسلمين والبيزنطيين على عهد هارون الرشيد والمعتصم. وهذه الحروب مقدمة لحرب شاملة أزمعت الدولة البيزنطية القيام بها للانتقام من المسلمين مما حل بها على أيديهم طوال القرون الثلاثة السابقة.

الدولة البيزنطية شنت غارات ضارية على العالم الإسلامي، تستهدف استئصال هذا الدين والقضاء على أهله. وبسط النفوذ السياسي الصليبي على معظم بلاده، بل بلغ بعضهم الطمع حد الرغبة في الاستيلاء على الحجاز وهدم الكعبة، ونشر المسيحية في العالم الشرقي كله. وقد شن البيزنطيون حرباً على المسلمين سنة ٩٧٥م - ٣٦٥هـ ولم تحقق هدفها إلا في نطاق جزئ ضيق.

ج- الغزو الصليبي الغربي للشرق الإسلامي:

وهو غزو كان للشام ومصر وآسيا الصغرى. قامت بهذا الغزو أوربا أغلبها تدعمها الكنيسة وتؤيدها وتقودها وتهدد بالحرمان من يقعد عن المشاركة في هذا الغزو. من خلال هذه الموضوعات الثلاثة نستطيع أن نتعرف على الدوافع السياسية التي شجعت الصليبيين على القيام بهذا الغزو. قد كان العالم الإسلامي يعيش ظروفاً سياسية سيئة، وتسيطر على حكامه الخلافات السياسية وتنازع الأمراء، كما تسيطر عليه الخلافات المذهبية، بين أهل السنة ويقودهم العباسيون

ومن تابعهم، والشيعة تحت قيادة الفاطميين في مصر والشام[١].

وقد قاد الصليبيون حملات نحو العالم الإسلامي. واستمرت هذه الحمالات فيما بعد الزمن المتعارف عليه. أما العداء بين الشرق الإسلامي والغرب الصليبي فإنه قائم حتى يومنا هذا. لم يقعد عن المشاركة في هذا الغزو[٢].

الدارس لهذه المواضيع الثلاثة دراسة تفصيلية يتضح له واحدة من دوافع الحروب الصليبية هو الدافع السياسي.

٣- الدوافع الاجتماعية والاقتصادية:

هناك دوافع اجتماعية واقتصادية ساعدت في أن يندفع النصارى نحو الشرق الإسلامي والاشتراك في الحروب الصليبية. وهذه الدوافع لا تقل أهمية عن الدوافع الدينية والدوافع السياسية.

وهي ظروف ألمت بالعالم الأوروبي في تلك الفترة. وكان المجتمع الأوروبي يعيش ظروفاً اجتماعية وضائقة اقتصادية. ولذلك تعاونت كل من الدوافع الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ودفعت بالحروف الصليبية نحو الشرق الإسلامي.

فما هي الدوافع الاجتماعية والاقتصادية التي شجعت أوربا على خوض هذه الحروب؟

كانت تركيبة المجتمع في العصور الوسطى هي ثلاث فئات:

أ- فئة رجال الدين: كنسيين وديريين وهم قلة، من حيث العدد.

ب- فئة المحاربين: نبلاء وأمراء وفرسان وهم قلة كذلك.

ج- فئة الفلاحين: رقيق الأرض والأجراء وهم الأكثرية الساحقة في المجتمع الأوروبي آنذاك.

---

(١) انظر للتفصيل، علي عبد الحليم محمود، الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، ص٢١-٦٨.

(٢) الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، علي عبد الحليم محمود، مرجع سابق ص٣٩-٤٠.

وقد كان هناك تباين بين هذه الطبقات في الحقوق والواجبات فمثلاً الطبقتان الأولى والثانية لهما مزايا اجتماعية وسياسية والطبقة الثالثة عليها الواجبات فقط وكان بين هذه الطبقات اختلافات واضحة. هذا من الناحية الاجتماعية. فإن المجتمع الأوروبي كانت غالبيته العظمى تعيش ذلاً وهواناً وطغياناً للقاعدة العريضة من الناس، لذلك عندما دعت الدعوة، هروباً من تلك المعاناة والحياة الشاقة لأن الحرب وما تجره من متاعب كانت في نظرهم أقل خطراً مما يحتملون في ظل هذا التفارق الطبقي البغيض، بل لقد كانوا يحسون أن الموت في هذه الحروب ربما كان أفضل من تلك الحياة التي يحيون.

وهناك الدوافع الاقتصادية هي الأخرى دفعت بالحروب الصليبية نحو العالم الإسلامي. إذ عاشت أوربا سوءاً في الأحوال الاقتصادية وسوءاً بلغ الغاية من الاضطراب والاختلال. إذ سادت المجاعات ولاسيما في فرنسا وكثرت الحروب وغارات القبائل على بعضها البعض وضاق الأمر بهم حتى رأوا أن الخروج من المجاعات والأزمات الاقتصادية هو الهجرة إلى مكان آخر[1].

تضافرت هذه الأسباب مجتمعة بالإضافة إلى الحقد الصليبي والإرث القديم منه وكانت هذه الأسباب من أهم الدوافع لقيام الحروب الصليبية.

(١) علي عبد الحليم محمود/ الغزو الصليبي والعالم الإسلامي، مرجع سابق ص٢١-١٤٨ بتصرف.